أفاق فكرية
تأثيل القراءات الحداثية للنص القرآني في فكر طه عبد الرحمن
ص . ص 396 - 406
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
lakhmissi06@yahoo.fr

تأثيل القراءات الحداثية للنص القرآني في فكر طه عبد الرحمن

- صابري لخميسي
- جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله lakhmissi06@yahoo.fr

تاريخ الارسال : 2018/02/11 تاريخ القبول: 2018/02/14 تاريخ النشر : 2018/10/04

الملخص : اهتم طه عبد الرحمن بمسألة المفهوم الفلسفي العربي في مشروعه "فقه الفلسفة"، محاولا بذلك أن يؤسس لخصوصية مفهومية، ويكشف عن مقومات التبعية الفكرية للآخر، التي سببت بدورها شللا فكريا فلسفيا يمنعنا من الوصول إلى التفلسف، فوجد أن المنهج الذي يكسب به المتفلسف مجالاً لإبراز خصوصيته هو المنهج التأثيلي الذي يعتمد أساسا على المجال التداولي العربي الإسلامي.

ولهذا كانت دعوته إلى تأثيل القراءات الحداثية للنص القرآني (الأنسنة، الأرخنة، العقلنة) كدعوة منه لتأسيس مفهوم عربي يقوم على بعد إشاري خاص يتوافق وتداوليتنا، مع نقد التبني المطلق لها بنسختها الغربية المصممة أساسا للتعامل مع النصوص الدينية المسيحية ووفق سياقات زمكانية معينة.

الكلمات المفتاحية : الحداثة، النص القرآني، الأرخنة، العقلنة، الأنسنة، التأثيل

tracing the etymology of modernist readings of Qur'anic text by Taha Abdurrahman

Astract : Taha Abdurrahman,in his project "jurisprudence philosophy"(Fik'h Alfalssafa), was interested in the question of the philosophical concept in an attempt to lay the ground for the conceptual specificity, and to reveal the elements of the intellectual subordination to the other, which caused a philosophical and an intellectual paralysis that prevent us from reaching the level of philosophizing , and found that the approach that may provide the philosopher with enough room to highlight his own specificities and privacy is the etymological approach that is mainly based on the Islamic Arab usage(pragmatic) field.

For that reason his call to trace the etymology of modernist readings of Qur'anic text (humanization, historic, rationality) was a call to establish an Islamic Arab concept based on a special indicative dimension that go hand in hand with our own usage, simultaneously, he offers a criticism of the absolute adoptions in its Western edition basically designed to deal with Christian religious texts, according to certain contexts.

Key words: Modernity, Quranic text, archaic, rationalization, humanization, etymology.

ص . ص 396 - 406
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
lakhmissi06@yahoo.fr

مقدمة :

خصّصَ "طه عبد الرحمن" مباحث كاملة في كتبه لتجديد المفهوم ومعالجة المصطلح قبل طرق الموضوعات المتعلقة به، فقد حاول التأسيس لشبكة مفاهيمية فلسفية جديدة يخص بها قوله الفلسفي، وبدأ بدراسة المفهوم الفلسفي من جانبه الإشاري والعباري وبناء "قوام تأثيلي" يخص الواضع له وسنحاول أن نبيّن ماهية "التأثيل" و مدلوله الطاهائي.

مفهوم التأثيل:

التأثيل في اشتقاقاته هو لفظ مشتق من "أَثَلَ" ويأْثِل أُثولاً و أَثْلَةً[1]. أما في ترادفه فنقول: "تَأَثَّل" أي "تأَصَّل"[2] وأَثَّل مالَه أَصَّله، ومن هذا نجد أن التأثيل يسدُّ مسدَّ لفظ "التأصيل" (Enracinement). وتَأَثَّل مالاً؛ اكتسبه واتخذه وثَمَّره؛ وأَثَّل اللهُ مالَه أي زكّاه، وأَثَّل مُلْكَه؛ عَظَّمه وتَأَثَّل هو عَظُم.

ونجد في بعض المعاجم أن التأثيل يقابله باللغة الفرنسية étymologie وبالإنجليزية étymology [3]، في حين أن هذه الكلمة لا تعبّر عن المعنى الدّقيق لكلمة "تأثيل" بحيث يذكرها أيضا المعجم نفسه على أنها تعني: تاريخ الكلمات، والإيتمولوجيا تُعنى "بدراسة الاشتقاقات في اللغة، ثم علم الأبنية والتراكيب الذي يختص بدراسة الجانب النحوي وربطه بالجانب الدلالي في بناء الجملة"[4].

والتأثيل عند "طه عبد الرحمن" أيضا من جانبه الترادفي يعني "التأصيل" و يقول: «إذا كان التأصيل هو تحقيق الصلة بالأصول فكذلك التأثيل هو تحقيق الصلة بالأثول، والأثول هي الأصول»[5]، إلاّ أنّه فضل استخدام "التأثيل" على "التأصيل" لأن كثرة استعمال لفظ التأصيل تسبّبت في دخول الابتذال عليه، ناهيك عمّا عَلِقَ به من تقويم مادح عند البعض وقادح عند البعض الآخر، واستخدام "طه عبد الرحمن" "للتأثيل" كمدلول لغوي كان استخدامًا فلسفيًا يربط به المفهوم الفلسفي بالبعد الدلالي والتداولي لواضعه أي داخل الحقل الذي يستعمل فيه اللفظ الموضوع لهذا المفهوم، ويعرف التأثيل الفلسفي بأنه «.. وصل المدلول الاصطلاحي أو المفهومي الذي وضع للّفظ الفلسفي بأسباب مدلوله اللغوي وتوظيف هذه الأسباب الدلالية الأصلية في توسيع النظر حول هذا اللفظ، علما بأن المدلول اللغوي عبارة عن الرصيد العملي التاريخي الذي يحمله هذا اللفظ »[6].

فالتّأثيل بهذا التعريف يخصّ الجانب المفهومي من القول الفلسفي؛ بما يتضمّنه من إشارات تعود للواضع له ويطلق "طه عبد الرحمن" على هذه الإشارات اسم "الإشارات الإضمارية" ويعني بها

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 396 - 406
البريد الالكتروني:
lakhmissi06@yahoo.fr

الإشارات التي تحصل من الاختصارات المختلفة في القول على أساس وجود الاشتراك بين المُلقِي والمتلقِّي في أصول تداولية مخصوصة وحصول استثمارها المشترك لسياق هذا القول و مقامه[7] وهنا يقصد "طه عبد الرحمن" الحمولة القَيْمِية التّداولية التي يُعَبَّأُ بها اللّفظ من قبل واضعه، بهذا يصبح مفهوم "التأثيل" أكثر وضوحا بكونه تزويد الجانب الاصطلاحي منه بالمضمرات التي تربطه بالمجال التّداولي لواضعه أو لمستثمره، وإذا كان "طه عبد الرحمن" يميّز المفهوم بالإشارات الإضمارية فهذا لأنه يخص الأقسام الأخرى من القول بإشارات على حسب ما يوافقه من دلالات، فالتعريف خصّه بالإشارات الاشتباهية، والدليل بالإشارات المجازية[*].

فالتأثيل بهذا هو أن تجعل للشيء أصلا ثابتا يُبنى عليه، وتأثيلية المفاهيم الفلسفية هو مسلك لابدّ من انتهاجه للوصول إلى المفهوم الحي المُبْدَعْ، والذي لا يَهْتَدِيْ إلى تأثيل مفاهيمه ولا يعرف تأثيل غيره لمفاهيمه فيحذو حذو النعل بالنعل بها، فإنه واقع لا محالة في ما أسماه "طه عبد الرحمن" "بالتيه المهلك"، وتأتي مفاهيمه مضطربة في مضمونها وغريبة عن مواضعها وهو ما أسماه أيضا بـ "قلق المصطلح" الفلسفي. وكل مفهوم غير مؤثّل يعتبر مفهوم مجتثّ ومُنْقَلِع، ومتى كانت المفاهيم الفلسفية مجتثّة ومنقلعة، فلا قدرة للمتفلسف على الاشتغال بها فضلا عن الاجتهاد فيها أو الوصول إلى الفلسفة الحيّة، وحاول "طه عبد الرحمن" إسقاط هذه الفلسفة التأثيلية على مختلف القضايا المطروحة على الساحة الفكرية العربية كمحاولة منه لتأسيس مفهوم فلسفي خاص، يرقى بالفكر العربي إلى درجة التفلسف، ومن أبرز القضايا التي أخضعها "طه عبد الرحمن" للتأثيل نجد مسألة "الترجمة" وما لها من دور في إحياء القول عامة والمفهوم خاصة، بالإضافة إلى الترجمة نجد تعامل "طه عبد الرحمن" مع مختلف القراءات الحداثية للنص القرآني وإخضاعها للفلسفة التأثيلية وإخراجها من إشاريتها إلى إشارية تنبني على تداوليتنا العربية الإسلامية.

تأثيل القراءات الحداثية للنص القرآني [*]

حاول 'طه عبد الرحمن' دراسة المناهج الحداثية المستخدمة في قراءة وفهم الآيات القرآنية والتي بدورها ورّثت الاتباع لا الإبداع ونقدها ثم تجديدها بتأثيل مفهومها وإنمائه أي إثرائه بمراعاة مقتضيات المجال التداولي العربي لغة وعقيدة ومعرفة والوصول إلى قراءات مبدعة تُغنينا عن هذه القراءات.

أولا: القراءات الحداثية ونقدها.

يقصد "طه عبد الرحمن" بالقراءات الحداثية للنص القرآني؛ تلك التفسيرات والتأويلات التي تمرّسها بعض المفكرين، في حق النص القرآني مستلهمين في ذلك واقع الحداثة[**] الغربية بمناهجها

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
lakhmissi06@yahoo.fr

ومفاهيمها ومقتضياتها النقدية، وقد اعتبر هذه القراءات بأنها محاولة "لفصل القراءة التفسيرية للقرآن عن الرؤية الاعتقادية المبدعة والموصولة، وتقرَّرَ لديه أن هذه القراءات الحداثية للآيات القرآنية تحقّق قطيعة معرفية بينها وبين **القراءات التراثية**(***)"[8]، وقد اتبعت هذه القراءات خططا انتقادية مختلفة وسنحاول أن نبين أهم القراءات المقلدة أو كما يسميها **"بالقراءات البدعية"**.

1. **قراءة التأنيس**: تتصدر خطة التأنيس أو الأنسنة Humanisme الصدارة في القراءات الحداثية المقلدة للآيات القرآنية، واختصت هذه الطريقة بنقل الآيات القرآنية من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني، جاعلة بذلك "النص القرآني نصّا لغويا مثله مَثل أي نص بشري"[9]، ويقول المفكر "نصر حامد أبو زيد" في هذا: "إن القول بإلهية النصوص والإصرار على طبيعتها الإلهية، يستلزم أن البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها"[10]، وهذه دعوة منه الى ضرورة تأنيس النص القرآني ونفي صفة الالوهية عنه، لكون صفة الألوهية تعيق الإنسان من فهمه، ويؤكد "طه عبد الرحمن" أن عملية النقل من الوضع الإلهي إلى الوضع البشري تقوم على عمليات منهجية خاصة، تلعب على تغيير المفاهيم والمصطلحات واستبدالها بما يدخلنا في الشك والنسبية ويبعدنا عن اليقين الالهي منها، كحذف عبارات التعظيم التي يستعملها جمهور العلماء في حديثهم عن النص القرآني مثل "القرآن الكريم"، "الذكر الحكيم"، "قال عز وجل"، "صدق الله العظيم"، "قال الله تعالى"..، واستبدال مصطلحات ومفاهيم مقررة، بأخرى جديدة من وضع الإنسان كاستبدال "الخطاب النبوي" مكان "الخطاب الإلهي" كقول "محمد أركون": "مفهوم الخطاب النبوي يطلق على النصوص المجموعة في كتب العهد القديم والأناجيل والقرآن"[11]، واستبدال "العبارة" مكان "الآية"، ومصطلح "نزول القرآن" بالقول "الظاهرة القرآنية"...بل حتى أن دعاة التأنيس ميّزوا بين مستويات الخطاب الإلهي كقول بعض الدارسين أن "محمد أركون" يعتبر كلام الله نوعين: كلام نسبي وكلام مطلق[12]، والتمييز بين "الوحي والتنزيل وبين الوحي والمصحف وبين القرآن الشفوي والمكتوب، ويقول "أركون": "فالخطاب القرآني مدعو خطابا لأنه لم يكن مكتوبا في البداية، وإنما كان كلاما شفهيا أو عبارات لغوية شفهية تنبثق على هوى المناسبات والظروف المتغيرة"[13].

2. **قراءة التعقيل** : يطلق "طه عبد الرحمن" على الخطة الثانية التي تنبني عليها القراءة الحداثية المقلدة اسم "خطة التعقيل" أو "خطة العقلنة" Rationalisation، وتستهدف أساسا "رفع عائق الغيبية"، ويتمثل هذا العائق في الاعتقاد بأن القرآن "وحي" وَرَدَ من عالم الغيب[14]، ويتوسل دعاة هذه القراءة في قراءتهم للآيات القرآنية بكل وسائل النظر التي توفرها المنهجيات والنظريات الحديثة، ويتم

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 396 - 406
البريد الالكتروني:
lakhmissi06@yahoo.fr

هذا التعامل بواسطة منهجية خاصة، بحيث انتقدوا علوم القرآن كونها تشكل وسائط معرفية متحجرة تحولُنا عن النص الأصلي، كما "أنها تكبيل للإنسان بإلغاء فعاليته وإهدار خبرته"[15]، وكما استلهموا المناهج الغربية المقررة في علوم الأديان من تحليل ونقد للتوراة والإنجيل، وتطبيقها على الدراسات القرآنية، منها علم مقارنة الأديان، وعلم تاريخ الأديان وتاريخ اللاهوت، ويقول "محمد أركون" في مقارنته للأديان: "هناك تشابهات لغوية بين الخطاب النبوي التوراتي والخطاب النبوي الإنجيلي والخطاب النبوي القرآني، يكفي أن نقارن بينها لكي ندرك ذلك"[16]، ومن المناهج أيضا نجد توسلهم بمناهج علوم الإنسان كاللسانيات والسميائيات والتاريخ والاجتماع...، واستخدام النظريات الفلسفية النقدية في حق النص القرآني متمثلة في **التأويليات والحفريات والتفكيكيات**[*]، أو كما يقول "محمد أركون" عن هذه القراءة التعقيلية: "نعتقد أن في أي نقد حقيقي للعقل الديني ينبغي أن يتمثل في استخدام كل مصادر المعقولية والتفكير التي تقدمها لنا علوم الإنسان والمجتمع من أجل زحزحة إشكالية الوحي من النظام الفكري والموقع الابستمولوجي الخاص بالروح الدوغمائية، إلى فضاءات التحليل والتأويل التي يفتتحها الآن العقل الاستطلاعي الجديد المنبثق حديثًا"[17]، وينتهون بهذه القراءة إلى قولهم بأن القرآن مثله مثل أيّ نص ديني آخر توحيديا كان أم وضعيا.

3. قراءة التأريخ:

يختتم "طه عبد الرحمن" تصنيفه المبدع للقراءات المبتدعة بقراءة ثالثة وهي "خطة التأريخ" أو "الأرخنة"، "وتستهدف أساسا رفع "عائق الحُكْمِية"، ويتمثل هذا العائق في الاعتقاد بأن القرآن جاء بأحكام ثابتة وأزلية"[18]، والدراسة التاريخية لهذه النصوص يمكن أن توصلنا إلى حقيقتها الزمكانية المحدودة، وقد سعى رواد الأرخنة إلى وصل الآيات القرآنية بظروف بيئتها وزمنها وبسياقاتها كما نجد عند "نصر حامد أبو زيد": "إذا كانت النصوص الدينية نصوصا بشرية بحكم انتمائها للغة والثقافة في فترة تاريخية محددة، هي فترة تشكلها وإنتاجها"[19]، كما وظفوا المسائل التاريخية التي أوردها قدماء المفسرين لإثبات البنية التأريخية للآيات متجاوزين الحدود التي وقف عندها هؤلاء المفسرون كمسألة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ...، وكذلك إضفاء النسبية على آيات الأحكام وحجتهم في ذلك اختلاف الفقهاء في فهم الآيات على حسب ظروفها التاريخية المتقلبة، وينتهون في قراءتهم إلى أن القرآن نص تاريخي مَثَلَهُ مَثَلُ أيُّ نصٍّ تاريخي آخر.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
lakhmissi06@yahoo.fr

ينطلق "طه عبد الرحمن" في نقد هذه القراءات الحداثية البدعية من منطلق كونها مقلدة من الفكر الفلسفي الغربي لمّا أراد أن يتحرر من الحكم الكنسي الجائر، بحيث دخل الأنواريون في صراع مع الكنيسة أفضى في النهاية إلى تقرير مبادئ ثلاثة وهي :

- يجب الاشتغال بالإنسان وترك الاشتغال بالإله؛ (مواجهة الوصاية الروحية للكنيسة).
- يجب التوسل بالعقل وترك التوسل بالوحي؛ (مواجهة الوصاية الثقافية للكنيسة).
- يجب التعلق بالدنيا وترك التعلق بالآخرة. (مواجهة الوصاية السياسية للكنيسة).

والقراءات التي اعتمدها الحداثيون في قراءتهم للنص القرآني مستلهمة من هذه المبادئ، فالأنسنة متفرعة من المبدأ الأول، والعقلنة من المبدأ الثاني، والأرخنة من المبدأ الثالث[20].

وقد اندفعوا في إسقاط هذه المبادئ على النص القرآني ليعيدوا إنتاج النتائج نفسها التي بلغها علماء الغرب لما طبقوها على التوراة والإنجيل فما يفعله "محمد أركون" مثلا "بالنسبة للتراث الإسلامي يشبه إلى حد بعيد ما فعله علماء أروبا ومفكروها بالنسبة للمسيحية".[21]، وهذه الإسقاطات الاندفاعية حسب "طه عبد الرحمن" فيها من العيوب ما يردّ الأخذ بها وتبنيها كفقدهم لقدرة نقد هذه الآليات الغربية، وضعف استعمالهم لها لكون مفاهيمها تحمل إشارية وفق تداولية أصلية لها، بل إن هذه القراءات التقليدية حسبه جعلتهم يعودون إلى زمن "ما قبل الحداثة" وهو الزمن الذي كانت فيه التيارات الفكرية الغربية تسعى للتحرر من الوصاية الكنسية.

ثانيا: تأثيل القراءات الحداثية:

نقول بتأثيل القراءات الحداثية للنص القرآني عند "طه عبد الرحمن" انطلاقا من النقد الذي وجّهَهُ للقراءات أو الخطط الثلاثة (الأنسنة، العقلنة، الأرخنة)، باعتبارها مناهج تقوم على منظومة مفاهيمية وآليات وضعت أساسًا للتحرّر من الفكر المدرسي الكنسي (Scolastique)، وفي مقابل ذلك قام بتبنّي الخطط أو القراءات نفسها؛ ولكن بإفراغها من المحتوى الإشاري الخاص بواضعها أولا، ثم تعبئتها بحمولة إشارية جديدة تخص تداولية وخصوصية المُتبنّي لها ثانيًا، ولمّا كان التأثيل يتمثل في العمل على بناء مفاهيم فلسفية تتفق ومقتضيات المجال التداولي لكل مجتمع؛ لغوية كانت أو عقدية أو معرفية، بحيث يتحيز المفهوم ويتقلب ويتخصص بحسب هذه المقتضيات التداولية، ليصل به المتفلسف إلى إبداع فلسفة حية يتجاوز بها التقليد، والحمولة القَيمية التداولية التي يُعَبَأُ بها اللّفظ من قِبلِ واضعه، كانت عملية طه عبد الرحمن في تبنّيه لمفهوم الأنسنة ومفهوم الأرخنة والعقلنة وفق فلسفة تأثيلية تتجاوز عملية إسقاط المفهوم على النص القرآني كما الإنجيل، إلى عملية إسقاط

طبيعة النص على المفهوم ذاته، وإعادة إحيائه وإبداعه بما يخدم الإنسان من جهة ويحافظ على يقينية القرآن (النص) من جهة أخرى، وسنحاول أن نبين كيف أن "طه عبد الرحمن" أثّل هذه القراءات البدعية الميّتة المميتة للنص القرآني والوصول إلى قراءات مبدعة حية ومُحْيِيَةٌ له بإعادة صياغة مفاهيم فلسفية جديدة لها، والعملية التأثيلية المبدعة حسبه تنطلق من شرطين أساسيين وهما:

- ترشيد التفاعل الديني؛ أي رعاية قوة التفاعل الديني مع النص القرآني
- تجديد الفعل الحداثي؛ أي إعادة إبداع الفعل الحداثي المنقول[22].

ربما يستغرب البعض وضع "طه عبد الرحمن" لشرطين يستلزم كلاهما الآخر؛ بحيث لا يتحقق الأول إلا بالثاني ولا الثاني إلا بالأول، هذا لأن ترشيد التفاعل الديني يحصل بواسطة الفعل الحداثي نفسه، كما أن تجديد الفعل الحداثي يحصل بواسطة التفاعل الديني نفسه، لما يفرضه، وإذا كان الفعل الحداثي كما رأيناه في القراءات السابقة يستلزم "الآلية التنسيقية الانتقادية" في جانبها السلبي والهدمي، فإنه حاول أن يستبدل هذه التنسيقية بأخرى إيجابية بنائية، لكون مقتضى الحداثة الإسلامية يضاد مقتضى الحداثة الغربية فإذا كان الفعل الحداثي الغربي قام على أصل التصارع مع الدين فإن الفعل الحداثي الإسلامي لا يقوم إلا على أساس التفاعل مع الدين، وهو الخطأ الذي وقع فيه المقلّدة؛ أي إنكارهم للتفاعل، وخطط القراءة المبدعة هي:

1. قراءة التأنيس:

لم يتبن "طه عبد الرحمن" مفهوم "التأنيس" على أنه محوٌ لقدسية النص القرآني وإنزاله منزلة الخطاب الإنساني كما تبنّاه المقلّدة، ولكنه أبدع وأثّل هذا المفهوم بما يتوافق ومجالنا التداولي لغة وعقيدة ومعرفة، بحيث حاول أن يسقط عليه - كونه كخطة حداثية - إشارية جديدة تجمع بين الترشيد الديني والتجديد الحداثي، بما يجعل الفعل الحداثي لا يقوم إلا على أساس التفاعل الديني، وهذا حسبه يعود إلى طبيعة الدين ذاته، ويقول "طه عبد الرحمن": "خطة التأنيس المبدعة هي عبارة عن نقل الآيات القرآنية من وضعها الإلهي إلى وضعها البشري، تكريما للإنسان"[23]، وتكريم الإنسان لن يكون بإلغاء قدسية النص كما في القراءات المقلدة، بل بإلغاء قدسية الذات الإنسانية، وجعلها تابعة لهذا النص وموصولة به، بحيث تتفاعل معه وتقرّ بمبدأ الاستخلاف والتكريم، يقول "الله" عزّ وجل: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[24]،ويقول أيضًا: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ**﴾[25]، وكثيرا ما تعلق لفظ التكريم في النص القرآني بالإنسان؛ لأن تكريم الإنسان أصل من الأصول القيمية لهذا

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 396 - 406
البريد الالكتروني:
lakhmissi06@yahoo.fr

النص، وانطلاقا من هذا وجب على خطة التأنيس أن تكون موصولة بالنص لا مفصولة، وأكثر أوجه الوصل هو التطبيق وإقرار التفاعل، وإلا فلماذا نزل الوحي بلغة الإنسان وعلى مقتضى أساليبها في التخاطب؟، يجيب "طه عبد الرحمن" ويقول: "لأن الوحي اتخذ في شكل تبليغه وتحققه اللساني وضعًا إنسانيا وخرج عن وضعه الإلهي الذي لا تُكَيِّفه ولا تحدّه لغة"(26).

كما أن هذا النقل . نقل الآيات القرآنية من وضعها الإلهي إلى وضعها البشري لا يخل بالفعل الحداثي مادام الأصل في قيمة الإنسان لا يكمن في انتزاع نفسه من سلطة الإله بل بموافقة إرادة الله لكونه مستخلفا، و الاستخلاف علاقة تمثيل يكون فيها الممثّل أقل درجة من الممثِّل، وهنا تتجلى أهمية العبارات التعظيمية التي ألغاها أصحاب القراءات البدعية، ويتجلى إبطال المماثلة اللغوية بين النص القرآني والنص البشري، لأن الآيات القرآنية ليست مجرد أشكال تعبيرية بل مضامين تبليغية، ويتصدر هذه المضامين المضمون "العقدي"، والواجب على أصحاب القراءات المقلدة ليس في مماثلة النصوص التعبيرية بل في فهم المضامين العقدية الجديدة.

نستنتج أن تأثيل "طه عبد الرحمن" لهذه القراءة يستند إلى تأثيل مفهوم الأنسنة وربطه بما يمكن أن يبعث تفاعل جديد مع الفعل الحداثي، مع التجديد التواصلي للفعل الحداثي مع الدين أي بما تقتضيه التداولية من أبعاد، فاستبدل "محو قدسية النص" بمحو "قدسية الذات الإنسانية" مع تكريمه كخليفة في الأرض.

2. قراءة التعقيل:

لم يتبن طه عبد الرحمن مفهوم "التعقيل" على أنه دفعٌ لغيبية النص القرآني وَوَحْيِيَّتِهِ كما تبنّاه المقلّدة، ولكنه أبدع وأثّل هذا المفهوم بما يتوافق ومجالنا التداولي لغة وعقيدة ومعرفة، بحيث حاول أن يسقط عليه كونه كخطة حداثية، إشارية جديدة تجمع بين الترشيد الديني والتجديد الحداثي، بما يجعل الفعل الحداثي لا يقوم إلا على أساس التفاعل الديني، وهذا حسبه يعود إلى طبيعة الدين ذاته، ويقول "طه عبد الرحمن": "خطة التعقيل المبدعة هي عبارة عن التعامل مع الآيات القرآنية بكلّ وسائل النظر والبحث التي توفرها المنهجيات والنظريات الحديثة، توسيعا لنطاق العقل"(27).

وهذا التعامل حسب "طه عبد الرحمن" يكون تعاملا علميّا مع الآيات القرآنية، مع التخلي على أسلوب الإسقاط عند العمل بهذه المناهج العلمية وهو ما وقع فيه المقلدة، ونحاول أن نظفر فيها بالأسباب المنهجية التي تستطيع أن تستكشف بعض المعالم المميّزة للعقل الذي يختص به القول القرآني، وهذا تأكيد طاهائي بأن إخضاع الآيات للنظر العلمي لا يعني إطلاقا التشكيك في العقيدة أو نسبية

ص . ص 396 - 406
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
lakhmissi06@yahoo.fr

النص، والتعامل العلمي لا يضعف التفاعل الديني، ولا يخل بالفعل الحداثي، لأن قيمة العقل ومفهومه يجب أن تتعدى منطق التناقض بين ما هو غيبي وما هو عقلي، لكون العقل يسمح بتوسيع الآفاق، وإدراك التوجهات القيمية للإنسان ويخرجه من وضعه الأداتي والمادي، وتمتزج فيه التجربة الإيمانية مع المناهج العقلية العلمية، "وتتأسس هذه التجربة الإيمانية العميقة بأحدث وأقوى المناهج العقلية وأقدرها على مدنا بأسباب الإنتاج الفكري"[28]، وبهذا تبطل المماثلة الدينية التي أقامتها خطة التعقيل المقلدة بين النص القرآني والنصوص الأخرى.

نستنتج أن تأثيل "طه عبد الرحمن" لهذه القراءة يستند إلى تأثيل مفهوم العقلنة وربطه بما يمكن أن يبعث تفاعل جديد مع الفعل الحداثي، مع التجديد التواصلي للفعل الحداثي بالدين أي بما تقتضيه التداولية من أبعاد، فاستبدل "إلغاء الغيبية (الوحي)" بفتح وتوسيع نطاق العقل يمتزج فيه ما هو قيمي روحي بما هو مادي.

3. قراءة التأريخ:

لم يتبن طه عبد الرحمن مفهوم "التأريخ" على أنه "محو للحكمية" كما تبنّاه المقلّدة، ولكنه أبدع وأثّل هذا المفهوم بما يتوافق ومجالنا التداولي لغة وعقيدة ومعرفة، بحيث حاول أن يسقط عليه كونه كخطة حداثية، إشارية جديدة تجمع بين الترشيد الديني والتجديد الحداثي، بما يجعل الفعل الحداثي لا يقوم إلا على أساس التفاعل الديني، وهذا حسبه يعود إلى طبيعة الدين ذاته، ويقول "طه عبد الرحمن": "خطة التأريخ المبدع هي عبارة عن وصل الآيات القرآنية بظروف بيئتها وزمنها وسياقاتها المختلفة، ترسيخًا للأخلاق"[29].

وحسب "طه عبد الرحمن" فإن القول بـ "الظرف" و"السياق" لا يضعف التفاعل الديني ولا يضيّقه، وليس اثبات لتاريخية النص أو نسبية أحكامه، لأن ارتباط النص القرآني بأسباب النزول، وظروف ووقائع معينة يعبّر عن واقعية النصّ، "وعن التحقّق الأول والأمثل للمقاصد والقيم التي تحملها هذه الآيات، ينتج من هذا أنه كلما تجددت الظروف والسياقات أمكن أن يتجدد تحقق هذه القيم ويتجدد الإيمان بها"[30]، وكما أن هذا الوصل بـ "الظرف" و"السياق". لا يخل بالفعل الحداثي، لأن التاريخ يستعيد اعتباره بالارتقاء بمفهوم الحكم، فلم يعد مضمون آيات الحكم منحصرا في زمكانية محددة ولكنه يتسع لما يرمي إليه هذا التشريع من تخليق للسلوك. ومعلوم أن ترسيخ الأخلاق هو الغاية الأولى من البعثة المحمدية. ولهذا يكون الانشغال بالسلوك في خطة التأريخ المبدعة أكثر منه في الخطة المقلدة لأنه انشغال بما يجلب النفع لهذا السلوك، كما أن النص الديني القرآني هو نص خاتم يمتد

زمنه إلى ما بعد زمن نزوله، حتى أن كل زمن يليه هو زمنه، ولابد له أن يكون نصّا راهنيا راهنيةً دائمةً، وهذا النص اختص بالقيم والأحكام الأخلاقية التي لا ينال منها توالي الزمن لأن إرادة تطبيق هذه القيم هي التي تكون سببا في صنع التاريخ.

ومن هذا فإن تأثيل "طه عبد الرحمن" لهذه القراءة يستند إلى تأثيل مفهوم "الأرخنة" وربطه بما يمكن أن يبعث تفاعلا جديدا مع الفعل الحداثي، مع التجديد التواصلي للفعل الحداثي بالدين أي بما تقتضيه التداولية من أبعاد، فاستبدل "محو الحكمية" بما يسميه "ترسيخ الأخلاق".

ونستنتج من هذا أن القراءات الحداثية المبتدعة والمنقولة من الغرب من تأنيس وتأريخ وتعقيل هي قراءات تقوم على إشارية مستمدة من طبيعة النص الديني الذي تعامل معه الفكر الغربي، وتبنيها يقتضي منا إفراغها من هذه الإشارية وتعبئتها بإشارية جديدة مستمدة من تداوليتنا وطبيعة النص الديني الذي نتعامل معه، ولهذا قال "طه عبد الرحمن" بضرورة تأثيل هذه المفاهيم وربطها بما يمكن أن يبعث تفاعلا جديدا مع الفعل الحداثي، مع التجديد التواصلي للفعل الحداثي بالدين أي بما تقتضيه التداولية من أبعاد.

الاحالات و الهوامش :

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج11 د.ط ، دار صادر، بيروت ، د.ت، ص09

2 - روحي البعلبكي ، المورد، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1995م، ص 259.

3 - محمد حسن باكلا وآخرون، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، (ط1، مكتبة لبنان، بيروت ، 1983م) ، ص24.

4 - عبد الجليل منقور، علم الدلالة : أصوله و مباحثه في التراث العربي، (منشورات اتحاد كتّاب العرب، دمشق، ، 2001م)، ص19.

5 - طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة :القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، ط4، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2014م، ص129.

6 - طه عبد الرحمن، سؤال العمل: بحث في الأصول العملية في الفكر و العلم، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2012م، ص42.

7 - طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة 2 : القول الفلسفي كتاب المفهوم والتأثيل، ص130.

8 - عبد السلام بوزبرة، طه عبد الرحمن ونقد الحـــداثة، ط1، جداول، بيروت – لبنـــان، 2011 م، ص208.

9 - طه عبد الرحمن، روح الحداثة :المدخل الى تأسيس الحداثة الاسلامية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، 2006 م ، ص180.

10 - نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ط2، القاهرة، سينا للنشر، مصر ، 1994م، ص206.

11 - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة: هاشم صالح، ط2، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2005 م، ص5.

12 - مصطفى كيحل، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر ، 2011م، ص159، 160.

13 - محمد أركون، العلمنة والدين: الإسلام المسيحية الغرب، ط3، دار الساقي، بيروت، لبنان ، 1996م، ص83، وكما نقرأ هذا بشكل جلي عند الباحث والناقد السوري "أدونيس" الذي يقول: "...أتكلم عن الكتابة القرآنية بوصفها نصّا لغويا، خارج عن كل بعد ديني، ونصّا نقرأه كما نقرأ نصّا

أدبيا ... وربما أثارت عبارة الكتابة القرآنية تساؤلا، ذلك أن القرآن نزل وحيا، وبلغ شفويا، والكتابة عمل إنساني كلف بها اشخاص ، ولهذا فانا اتحدث عن النص القرآني كما دوّن...". [أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، ط1، القاهرة، دار الآداب، مصر ، 1993م، ص19، 20]

14 - طه عبد الرحمن، روح الحداثة، ص 181.

15 - نصر حامد أبو زيد، الإمام الشافعي: تأسيس الايديولوجية الوسطية، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1996م، ص146.

16 - محمد أركون، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان 2011م، ص218 (هامش رقم 3).

(✶) التأويليات هي ما يقصد به عموما . Herméneutiques. وتعني النظر في وجوه تحصيل النصوص وفهمها ويرجع أصلها إلى تفاسير التوراة والأنجيل التي وضعها المسيحيون لا سيما البروتستانت، من مؤسسيها "شلايرماخر(1768. 1834م)، هيدغر، وغادامير (1900.2002)، والحفريات . Archéologies . بدورها تعمل أساسا على فهم الخطاب الإنساني فهما معمقا وذلك بالعودة الى الأرشيف والتنقيب عن الأصول الحقيقية والبحث عن الأسباب، وضع هذا الآلية والمصطلح "ميشال فوكو" (1926. 1984م)، أما التفكيكيات . Déconstructions . فهي الاستراتيجيات العامة لقراءة النصوص المكتوبة والوقوف عند حدود المفاهيم والبحث عن تناقضات داخلية وتوترات اصطلاحية يقرأ بها النص، وقد أسس هذه الآلية الفيلسوف الفرنسي "جاك ديريدا" (1930.2004م). والهدف من هذه الآليات هو التحرر من النصوص الدينية وهيبتها وجعلها كلام عادي ومثله مثل النصوص الدينية الأخرى.

17 - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص58.

18 - طه عبد الرحمن، روح الحداثة، ص 184.

19 - نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص206.

20 - طه عبد الرحمن، روح الحداثة، ص 189.

21 - محمد، أركون، قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان ، 2000م، ص15.(في مقدمة المترجم هاشم صالح للكتاب).

22 - طه عبد الرحمن، روح الحداثة، ص 195.

23 - المصدر نفسه ، ص 197.

24 - الإسراء - الآية 70

25 - الأنبياء - الآية26

26 - طه عبد الرحمن، روح الحداثة، ص 197.

27 - المصدر نفسه، ص 199.

28 - طه عبد الرحمن، العمل الديني و تجديد العقل، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، 1997 م، ص10.

29 - طه عبد الرحمن، روح الحداثة، ص 202.

30 - المصدر نفسه، ص 203.